

الطبقات ، لتفسخ اجتهامي انهيارى تعانیه بیروت ، یصل ببطلها الى مستشفى المجانین . وفي الروایة الثانية « شرق المتوسط » ، یقدم عبد الرحمن منیف ، استكمالا لاغتيال « مرزوق » . القمع داخل السجن هو اطار الروایة ، لكن السجن هو في الداخل ، والخارج . حركة السجناء وحركة الاحرار خارج النضبان ، هي حركة واحدة . تقود في النهاية الى الموت على حافة الجنون . وتقدم الروایة الثالثة « المجموعة ٧٧٨ » ، تسجيلا لتوفيق نياض عن مجموعة فدائية تابعة لحركة فتح وعاملة في الارض المحتلة . یقدم التفاصيل وتفصيل التفاصيل لیبقى مخلصا لدقة العمل التسجيلي الذي یقوم به . اذا كانت الروایتان الاوليان ، تشترکان في كثير من السمات . الموضوع الواحد اساسا ، وان اختلفت طريقة اكتشافه ، فان الروایة الثالثة ، هي مقدمة ، ما قبل الروایة النضالية الفلسطينية . غالتوقف عند التسجيل التفصيلي ، یصل بلفه الاعلام الصحفي ، اكثر من اتصاله بالادب ، رغم ان التسجيل هذا ، یستطیع اذا اعيد تقطيعه وتعميمه ان یحول الى وثيقة نادرة .

ان معالجة ثلاث روايات ، لا تنتمي الى موضوع واحد ، او لا تجعلها مدرسة ادبية معينة ، هو مغامرة . لانه قد يبدو كلاما لا معنى له ، لكن هدف هذه المعالجة النقدية ، هو التقاط المفاصل ، التي تجعل من مسيرة الروایة العربية ، مسيرة اغترابية . وهذه الروایات لا تؤخذ هنا ، الا بوصفها مؤشرات .

— ٢ —

« بیروت ٧٥ » ، هي محاولة لكتابة رواية متوازية . الشخصيات الرئيسية ، لا تنتمي الا سلبا . فرح وباسمينة ، یلتقيان لحظة السفر من دمشق الى بیروت . ثم یفترقان . یعودان الى الالتقاء من جديد بشكل سلبي من خلال اطارين : الطائرات الاسرائيلية المغيرة على بیروت . فرح یفاجأ بموقف اللامبالاة في شارع الحمراء وباسمينة تبعد عن جسد نمر وهي معه في یخته ، ثم یشرح لها ان هذه الطائرات لیست مسنوی لتخويف الفدائيين ، فتقرب منه من جديد . ویلتقيان من خلال علاقاتهما . فرح القادم من « دوما » الى بیروت بحثا عن الشهرة ، ویصبح نجم غناء بفضل قریب له شاذ جنسيا هو نیشان ، المليونير .

نیهی مبهزا ومكشوفاً ، بین مثال یضعه و بین واقع یحاول وصنه .

قد تكون الصورة ، التي رسمناها ، لاطر تحرك الروایة العربية بالغة القتامة . وهي بالفعل هكذا . انها محاولة لتصور المازق المجدد الذي یطوق الممارسة الروائية ، ویمسك بتحريكها المنفصلی . غیر ان هذا لا یمنع بعض المحاولات الروائية ، من اختراق هذه الدائرة . هذه المحاولات ، تبقى رغم عزلتها وعدم استقراريتها ، منافذ استطاعت الممارسة الاجتماعية بمعناها الثوري ، فخصها داخل الممارسة الادبية . هنا تأتي بعض الامثلة لتؤكد على صحة الموضوع . فاذا كان كنفاني قد استطاع في بعض نتاجه الروائي ، ان یصل الى بدايات صياغة رؤية نضالية داخل الحقل الروائي ، فانه قد اكسب الممارسة الفنية انجازا بالغ الاهمية . هذا الانجاز هو اساسا توليد الواقع مأسويته من داخل حركته . هذا التوليد الذي یقدمه الواقع الفلسطيني — واقع النزوح والانتفاضات الثورية ، تجري محاولة غرسه كحركة داخل الروایة . دون ان یعنی هذا ان كنفاني استطاع التحرر من مسبقات اللغة او التطور ، لكنه حاول اختراقها بالحكمة الشعبية (ام سعد) او بمحاولات التوازي (الاعمی والاطرش) . نستطيع ان نسوق العديد من الامثلة الروائية على محاولات الاختراق ، وعلى ابراز التفاصيل الحقيقية كعالم روائي (ايام الانسان السبعة) . لكن هذه المحاولات هي جزء من معادلة عامة . التجريب المستمر ، دون القدرة على الوصول الى ثابت یصلح ان یكون منطلقا ، نیهی في حدود المحاولة ، ونرسم اطارات التساؤل .

— ٢ —

تصلح هذه المقدمة العامة ، كأساس لمناقشة ثلاث روايات عربية صدرت في وقت واحد تقريبا ، وقاسمها المشترك ، ليس في موضوعها ، فكل رواية هي عالم مستقل بنفسه ، ولكن في الثابت الايديولوجي ، الذي يحكم مسارها . وهي بذلك تقدم نموذجا عينيا ، على ما حاولناه في مقدمة ، قد تبدو نظرية ومجردة .

الروایات الثلاث هي لفادة السهبان ، وعبد الرحمن منیف وتوفيق نياض . في الروایة الاولى « بیروت ٧٥ » ، تحاول غادة السمان ان تقدم لوحة اجتماعية ، تتنهل فيها شرائح مسن جميع